الأَنِيسُ

فِي تَعَقُّبَاتِ الشَّيْخِ الْخَمِيسِ

عَلَى «تَفْسِيرِ الْجَلَالَيْنِ»

تأليف

مُحَمَّد بن مُحَمَّد الشَّافِعِي

الفَاسِيّ المِصْرِيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

وغرضنا من هذا التعليق هو إظهار ما له وجه من تفسير جلال الدين، وما لا وجه له؛ ومسألة «الوجه» لها عدة حالات:

١-أن يكون ظاهر تفسيره يوافق ما جاء عن السلف أو بعضهم أو كبار مفسري أهل الحديث.

٢-أن يكون تفسيره يوافق مغزى ما جاء عن متقدمي أهل الحديث.

٣-أن لا يكون له وجه أصلاً ويخالف المجمع عليه عندنا.

وقد وجدت الكثير مما أورده الشيخ هو نَسخٌ ولصقٌ من تفسير الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما اختيارنا في التفسير فسنوضحه مع كل تفسير، وليس هذا أيضًا بنية سوء أو بادرة سوء أو غيره تجاه الشيخ الخميس، فإنه ممن يجاهدون في علم العقيدة أهل الضلاة -الشيعة، والمرجئة والجهمية الأصليين-؛ وأما الأخذ عن الأشاعرة والماتريدية فيكفي شافعيتنا واعتذارنا للعلماء، فإن الأشاعرة والماتريدية يختلفون بين الذين كانوا في القرون الثلاثة -الكُلَّابية والمرجئة- وبين متأخريهم، فهؤلاء لا خلاف في بدعيتهم وابتداعهم إلا أنه ليس على التعيين، فهناك «ذَرٌّ بن عبد الله»قيل أنه من نَحَلَ عقيدة المرجئة وبالرغم من ذلك فهو ثقة في الرواية، وإن افترضنا تبديع وتفسيق كل من كانوا على عقيدتيهما فهذا لا يُعتبَرُ في متأخريهم بحكم أن القرون الأولى كان الحق ظاهرًا فيه، أما الآن فقد اختلط الأمر عليهم وظنوا -بالنسبة لنا- أن ما هم عليه هو الحق، فلا تفسيق ولا تبديع، بل هم علماؤنا وتاج رأسنا، فقد حملوا معنا فقه المذاهب ورواية الحديث والتفسير وعلوم القرآن والنحو وغيرها، فإن قررت ترك علمهم فيجب أن تترك كل الاجتهادات بعد القرون الثلاثة وتكتفي بروايات الحديث والقرآن والتفسير المُجمَل بدون أن تفهم التفصيل؛فإن العلماء يدلون بماءهم في دلو الأخرين، فتجد الأشاعرة والماتريدية يعتمدون على كلام وتفسيرات السلف، وتجدنا نعتمد على غالب كلام وتفسيرات وشرح الفريقين لأنهم أصبحوا في فترة من الفترات أكثر العلماء منهم، فلا محيد عن علمهم، فكأنك تترك كلام ابن العربي وعياض والقرطبي، والجويني والغزالي والسيوطي والمحلي، والطحاوي والنسفي والكاساني والقدوري وابن عابدين، وابن حزم، وابن الجوزي والمرداوي والبهوتي.

الفهرس

المبحث الأول: التأويلات في بعض آيات الصفات

جاء في تفسير الجلالين تأويل بعض آيات الصفات على خلاف الظاهر وعلى خلاف منهج السلف في ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: صفحة "٢" من سورة الفاتحة آية رقم "٣" قوله تعالى: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} .

قال جلال الدين:"أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله".

قال الشيخ الخميس: الرحمن الرحيم اسمان دالان على صفة الرحمة فالله تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، والمؤلف رحمه الله اقتصر على لازم الرحمة ولم يثبت صفة الرحمة والقواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات وإمرار آيات الصفات على ظاهرها دون تأويلها بما يخرجها عن حقيقة معناها، فإن التأويل بما ينافي حقيقة معنى الصفة هو تعطيل لها، بل ونوع من الإلحاد فيها.

قال الشافعي الفاسي: قول الشيخ صحيح من ناحية نقد جلال الدين على تفسيره الرحمة، حيث هي عند أهل الحديث لا تُفَسَّرُ وأنه بتفسيره قد أَوَّلَ الصفة، لكن تفسيره له بعض الأوجه الموافقة لنا، فإنه قد جعلها بهذا التفسير من صفات الذات[(١)]، وجعل الرحمة مختصة بالمشيئة.

فالرحمن الرحيم صفتان لله ﷻ فالله يرحم المؤمن والكافر في الدنيا، ويرحم المؤمن فقط في الأخرة، ورحمة الله لا تكون إلا خير فعلى هذا ظاهر تفسيره صحيح، ويُقبَلُ إن أثبت الصفات على ظاهرها.

[(١)] «والرحمة: إرادة الله الخير لأهله، وهي على هذا القول صفة ذات. وقيل: هي ترك عقوبة من استحق العقوبة، وابتداء الخير إلى من لا يستحق، وعلى هذا القول صفة فعل». تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير ٢/ ٢٩٨

ومذهب أهل الحديث أن الرحمة صفة ذاتية وفعلية. "العقيدة الواسطية" لابن تيمية (ص ٤٧، ١٠٦) مع الشرح، "تهذيب التفسير وتجريد التأويل" ١/ ١٦ لعبد القادر شيبة الحمد

المثال الثاني: الآية "١٥٨" من سورة الأنعام في قوله: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} .

قال جلال الدين:"أو يأتي ربك: أي علاماته الدالة على الساعة".

قال الشيخ الخميس: هذا صرف اللفظ عن ظاهره وتعطيل لصفة الإتيان. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية "يقول جل ثناؤه: هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة"[١].

قال الشافعي الفاسي: لم يُصِب الشيخ. الصواب أن هذا تفسير جلال الدين للكلمات التي بعدها.

تفسير الجلالين ص١٩١: «{أَوْ يَأْتِي رَبّك} أَيْ أَمْره بِمَعْنَى عَذَابه».

نقول وتأويل جلال الدين هو خلاف المعتمد عند عامة المفسرين[٢] من أن الإتيان[٣] هنا هو يوم القيامة، ولكن هل هناكَ أي رواية[٤] وافقها جلال الدين:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: «أَمَرَ رَبُّكَ فِيهِمْ بِالْقَتْلِ أَوْ غَيْرِهِ».[٥]

والأية في ظاهرها صفة لله، ولكن هل يليق التأويل؟ فيه قولان؛ وإن قُلنا بالجواز هل يلزم من التأويل نفيَ الصفة؟ لا. فيظهر لنا أن تفسير جلال الدين ليس بصحيح على مذهب جماهير[٦] أهل السنة، وأن المقصود الصفة.وهل يمكن تأويل الإتيان والمجيء؟ نعم في حالات: «وَالْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ مِنَ اللهِ تَعَالَى

---

[١] تفسير ابن جرير "٥/ ٤٠٤"

[٢] حتى الأشاعرة منهم.وهو قول الطبري في "تفسيره" ٨/ ٩٦، وأخرجه من طرق جيدة عن مجاهد وقتادة وابن جريج، واختاره البغوي في "تفسيره" ٣/ ٢٠٧، وابن كثير ٢/ ٢١٦، والشنقيطي ٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤، "تفسير القرطبي" ٧/ ١٤٥، و"فتاوى شيخ الإسلام" ٦/ ٣٩٨–٤٢٤. وهو رأيي واختياري.

[٣] وهو صفة لله ﷻ.

[٤] ليس بشرط أن تكون صحيحة وإنما أن تكون رواية ضعيفة أو صحيحة لا أكثر ولا أقل

[٥] ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٤٥، والقرطبي في "تفسيره" ٧/ ١٤٤، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٥٨

[٦] «والحق ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة وسلف الأمة». تفسير الثعلبي = الكشف والبيان ط دار التفسير ١٢/ ٢٦٦ فإن صحَّ قوله فقد يوافقه اللغة، وإن لم يصح فلا يعتبر هذا مما يعاب على جلال الدين، إلا لأنه هرب من الظاهر.

نَوْعَانِ: مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ، فَإِذَا كَانَ مَجِيءُ رَحْمَتِهِ أَوْ عَذَابِهِ كَانَ مُقَيَّدًا» ثم أوضح أن الأية لا تدخل في المقيد.[(١)]

[(١)] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص٤٤٨

المثال الثالث: الآية "٣٢ و٧٦ و ١٣٤ و ١٤٦" من سورة آل عمران والآية "٩٤" من سورة المائدة والآية "١٠٩" من سورة التوبة عطل صفة المحبة وصرفها عن ظاهرها إلى الثواب فقال: "يحببكم الله: بمعنى يثبكم الله".

والصواب أن يقال: إن الله يحبكم وإذا أحبكم يثبكم لأن المثوبة من آثار المحبة لا عين المحبة.

قال الشافعي الفاسي: أكثر المفسرين على أنها من الصفات وهو مذهبنا، إلا أنه رويَ عن بعض السلف من تأوَّلوا المحبة في بعض الأيات مع إثباتهم الصفة قطعًا:

-أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ[1] فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ قَالَ: قَرَأَ عَمِّي عَلَى أَبِي أَوْ أَبِي عَلَى عَمِّي، الشَّكُّ مِنِّي، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَأَنَا أَسْمَعُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ يَقُولُ: يُقَرِّبْكُمُ الْحُبُّ وَهُوَ الْقُرْبُ قَالَ: وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ لَا يُقَرِّبُ الظَّالِمِينَ.[2]

– حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا الْحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، أنبأ عَمْرُو بْنُ أَبِي هُرْمُزَ، ثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدِّمَشْقِيُّ عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فِي قَوْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ عَلَى الْبِرِّ، وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَاضُعِ، وَذِلَّةِ النَّفْسِ.[3]

فإن صحت الأسانيد فكان له وجه[4] من ناحية الأثر، إلا أننا كما في كل تفسير ننوِّهُ إلى أن هذا التفسير في ظاهره صحيح ومقبول، إلا أننا بسبب معرفتنا لمنهج المؤلف العقائدي فلا نقبله منه، وإن كان تفسيره صحيحًا من ناحية المغزى والمُتَرَتِّب على صفة المحبة.

---

[1] أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ زينب بِنْتِ الشَّافِعِيِّ.

[2] تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٣

[3] تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٢

[4] وهذا الوجه لا يُقبَلُ منهم وإن كان يُقبَلُ ممن هم على شاكلتنا، لأنهم يرون أنها صفة فقرروا التأويل، أما لو صحت الأسانيد فهي ليست صفة عند ابن عيينة وإنما هو إخبار عن القُرب والثواب.

المثال الرابع: الآية "٣٢ و ٥٨ و ١٤٠" من سورة آل عمران عطل صفة الغضب وصرفها عن ظاهرها إلى العقاب.

فقال في قوله تعالى: " {لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} : بمعنى أنه يعاقبهم".

والصواب: أن من نتائج عدم محبة الله لهم أن يعاقبهم.

قال الشافعي الفاسي: وبالفعل كلام الشيخ والعالِم صحيحٌ، فإن المقصود في الأية صفة الغضب لله ﷻ والتي يترتب عليها العقاب، وهذا من تأويل الظاهر، فهل له مُستَنَدٌ قد يجعل تفسيره مقبولاً عند أهل الحديث إن قاله أحدنا:

-أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّافِعِيُّ[١] فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ قَالَ: قَرَأَ عَمِّي عَلَى أَبِي أَوْ أَبِي عَلَى عَمِّي، الشَّكُّ مِنِّي، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَأَنَا أَسْمَعُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، فَقَالَ: أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ يَقُولُ: يُقَرِّبْكُمُ الْحُبُّ وَهُوَ الْقُرْبُ قَالَ: وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ لَا يُقَرِّبُ الظَّالِمِينَ.[٢]

-قال الشيخ الزحيلي[٣]: «ومعنى قوله تعالى: فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكافِرِينَ أنه يعذبهم ويعاقبهم».[٤]

فقد يكون الشيخ الزحيلي أورَدَ المُترتب على الصفة أو تأوَّلها.

وبسبب معرفتنا لمنهج الأشاعرة والماتريدية فنعلم أن الإمام جلال الدين فعل ذلك تأويلاً منه لما كان ظاهره صفة غير الصفات السبع.

---

[١] أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ زينب بِنْتِ الشَّافِعِيِّ.

[٢] تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٣٣

[٣] وهو في تفسيره هذا قد نهَجَ نهج أهل الحديث.

[٤] التفسير الوسيط - الزحيلي ١/ ١٨٩

المثال الخامس: الآية "٥٤" من سورة الأعراف قوله تعالى: {مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ}.

قال جلال الدين:"بقدرته".

قال الشيخ الخميس: هذا صرف للفظ عن ظاهره وتعطيل لصفة الأمر. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم كل ذلك بأمره أمرهن فأطعن أمره، فلله الخلق كله والأمر الذي لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الأشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تأمر "[١].

فالصواب أن يقال: إن المراد من الأمر كلام الله وحكمه وهو غير القدرة.

قال الشافعي الفاسي: اعتبر الشيخ أن «الأمر»هنا من صفات الله المجمع عليها التي لا يجوز تأويلها، وفي هذا خلاف خفيَ عن الشيخ:

١-عن سفيان بن عُيَيْنة -في إحدى روايتيه- في قوله: {ألا لهُ الخلقُ والأمرُ}، قال: الخلْقُ ما دون العرشِ، والأمرُ ما فوقَ ذلك.[٢]

٢-قال مقاتل بن سليمان: «وَالْأَمْرُ يعني قضاءه فِي الخلق الَّذِي فِي اللوح المحفوظ».[٣]

٣-قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «مسخراتٍ بأمره: أي بإذنه وقدرته». [٤]

فاعتبر مقاتل الأمر هنا بمعنى المكتوب في اللوح المحفوظ وليس كلام الله وحده، ونحن نعلم أن المكتوب في اللوح المحفوظ مخلوق، وكلام الله غير مخلوق، وقال الجزائري كما قال جلال الدين، فالمسألة من جلال الدين ليست إنكارًا لكلام الله ولا مشيئته وإلا فيكون حينها يخالف مذهبه الأشعري.

وبالتالي فيبعُد أنه تأوَّلَ ذلك لنفي الكلام أو المشيئة وإن كان هو خالف الجمهور.

---

[١] تفسير ابن جرير "٥/ ٥١٤"

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩٨

[٣] تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٤١

[٤] أيسر التفاسير للجزائري ٣/ ١٠١

المثال السادس: صفحة "١٨٦" من سورة الأعراف الآية رقم "٥٤" وطه الآية "٥" ص "٣٧٤" والسجدة الآية رقم "٤" ص "٥٠١" في قوله تعالى: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} .

قال جلال الدين:"استواء يليق به".

قال الشيخ الخميس: إن كان المؤلف يريد به تفويض كيفية الاستواء فهذا حق لأن الكيفية على الوجه اللائق به سبحانه ولا يعلم ذلك إلا الله كما قال مالك: ".. والكيف مجهول".

وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول فهذا فرار من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش لأن السلف ذكروا أن الاستواء معناه العلو والارتفاع والاستقرار[1].

وعبارة المؤلف تحتمل كلا المعنيين، ولكن السلف لم يجهلوا معنى الاستواء كما قال الإمام مالك وغيره: "الاستواء معلوم".

قال الشافعي الفاسي: بالفعل كلام جلال الدين يوهم المعنيين، إلا أن تفسير سورة الأعراف من تفسير السيوطي، وتفسير طه والسجدة من المَحَلِّي، وقد انتهجا نفس النهج في تفسير الأية.

أما السيوطي فهو يفوض المعنى.[2]

أما المحلي فالراجح بما أنه أستاذ السيوطي فكان هذا نهجه ولأنهما من متأخرة الأشاعرة.

وبالرغم من كل ذلك إلا أن لفظ « استواء يليق به»لفظ صحيح إن قاله أهل الحديث، وغير صحيح إن قاله متأخرو الأشاعرة والماتريدية بحكم أنهم يفوضون المعنى على طريقة السلف عندهم.

فكان الأمر هنا في ظاهره صحيح تفسيرًا وعقديًا إلا أنه لاعتباره صحيحًا من كل النواحي أن يصرِّحا بالاستواء على ظاهره، ولكن نعلم عقيدتهما.

---

[1] صحيح البخاري "٤/ ٣٨٧"

[2] «وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها». معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ١١١

المثال السابع: ص١٣٨ من سورة المائدة الآية رقم "٦٤" في قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} .

قال جلال الدين:"مبالغة في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ الغاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه".

قال الشيخ الخميس: لا شك أن الله سبحانه بسط فضله وجوده وإحسانه الديني والدنيوي على عباده لكن المصنف أغفل إثبات صفة اليدين بل صرفها عن حقيقتها وقد أجمع أهل السنة على القول بما تظافرت على إثباته النصوص من الكتاب والسنة من أن لله يدين حقيقية على الكيفية اللائقة بجلاله والتثنية هنا إثبات لأنهما يدان وليس يداً واحدة وفي الحديث: "وكلتا يدي ربنا يمين"[1] فيجب المصير إلى هذا القول وتفسير الآية على هذا المعنى، نعم الجود من لوازم إثبات صفة اليد لكن لا يجوز تفسير الآية باللازم وترك الملزوم فيجب إثبات صفة اليدين ولوازمها ومن القواعد المقررة عند أهل السنة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

قال الشافعي الفاسي: اتفق السلف وأهل الحديث على أن اليدين هنا صفة لله ولا تأويل فيها ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تجسيم؛ أما أهل الجدل فاختلفوا فيها: قال بعضهم هي النعمة، وقيل القوة، وقيل مُلكه؛ وكل هذه تفسيرات خاطئة لا مجال للنقاش فيها.

ولو كان جلال الدين قال: «تفيد كثرة نعمه وأنه يوسع على عباده بمشيئته» لاعتذرت له وقُلتُ أن كلامه لا يخالف عقيدتنا إلا نواياه في تأويل الصفة.

قال الطبري: «ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنى"اليد"، في هذا الموضع، النعمة= وصحةِ قول من قال: إن"يد الله"، هي له صفة. قالوا: وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال به العلماء وأهل التأويل».[2]

---

[1] رواه مسلم ٣/ ١٤٥٨" عن عبد الله بن عمرو

[2] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ١٠/ ٤٥٦

المثال الثامن: صفحة "٢٤٨" من سورة يونس الآية رقم "٢١" في قوله تعالى: {قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً}

قال جلال الدين:"مجازاة".

قال الشيخ الخميس: حقيقة المكر تدبير محكم في إنزال العقوبة بالمجرم من حيث لا يشعر فهو أخص من مطلق الجزاء، لأنه عقوبة على وجه مخصوص، فالمكر من الله تعالى تدبير لرد كيد الكائد في نحره، وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله ونيته. هذا ومما يجب أن يعلم أنه لا يطلق على الله تعالى اسم ماكر استنباطـاً من الآية، حاشا لله، بل يقال إن الله تعالى هو خير الماكرين، والله يمكر بالكافرين والمنافقين، فيقف القائل عند حدود ما ورد في النصوص مقيداً، حتى لا يكون موهمـاً بنسبة شيء إلى الله تعالى مما لم يرد.

قال الشافعي الفاسي: قال الشيخ الخميس أن المكر هنا هو «تدبير مُحكَم في إنزال العقوبة بالمجرم»، وهذا المعنى صحيحٌ، لكن لا يلزم خطأ تفسير الجلالين لسببين:

-الشيخ نفسه قال أن تفسير الجلالين أعم من تفسيره.

-الطبري فسَّرَها بنفس التفسير: «(الله أسرع مكرًا) ، أي: أسرع مِحَالا بكم، واستدراجًا لكم وعقوبةً، منكم، من المكر في آيات الله».[1]

وكذلك ابن أبي زمنين: «قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: عَذَابًا».[2]

وجاءت بعض الألفاظ الأخرى: قال مقاتل: «قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْراً يعني الله أشد إخزاء»[3].فالمفهوم من كلامهم أنهم يفسرونها كما نفعل إلا أنهم لا يعتبرونها صفة لله.

---

[1] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ١٥/ ٤٩

[2] تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٢/ ٢٤٩

[3] تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٢٣٤ وقد وافقه على ذلك السمرقندي المائل إلى منهج أهل الجدل والكلام فسير السمرقندي = بحر العلوم ٢/ ١١٠

المثال التاسع: صفحة "٢٩٧" من سورة الرعد الآية رقم "٩" في قوله تعالى: {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} .

قال المصنف: "المتعال على خلقه بالقهر"

قال الشيخ الخميس: هذا أحد معاني العلو الثابتة له سبحانه، فهو المتعالي على كل شيء بقهره، والمتعالي عن كل سوء ونقص بكماله والمتعالي بذاته فوق خلقه. فالله تعالى هو المتعال بأنواع ثلاثة، فلا يجوز قصر "المتعال" على نوع واحد.

قال الشافعي الفاسي: اعتبَرَ الشيخ أن تفسير «المُتَعَالِ» على معنى واحد هو ضرب من الخطأ، وهذا مردود حسب ظني لأنه قد سبقه إليه بعض المفسرين:

قال الطبري: «"المتعال" المستعلي على كل شيء بقدرته»[1].

قال الخطّابي[2]: «وقد يكون بمعنى العالي فوق خَلْقه»، وروي عن الحسن أنه قال: «المتعالي عمّا يقول المشركون».[3]

الشوكاني: «الْمُتَعَالِ أَيِ الْعَظِيمُ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ، الْمُتَعَالِي عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشْرِكُونَ، أَوِ الْمُسْتَعْلِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقَهْرِهِ».[4]

السعدي: «{الْمُتَعَالِ} على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره».[5]

ولا يعني التأويل بأنه يُنْفَى العُلُو، خاصةً وأن الطبري والخطابي والشوكاني على عقيدة أهل الحديث؛ فما دامَ الخلافُ موجودًا فلا مجال للنقد إلا مع توضيح الخلاف.

وكان من الأفضل أن يخصص النقد في هذه المسألة بـ«أن جلال الدين منكرٌ لظاهر الصفات فلا يُقبَلُ منه التأويل لها»، وإلا فإننا في بعض الأيات نفسر الاستواء بالعلو وفي بعضها نفسره بالقصد؛ وبما

[1] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ١٦/ ٣٦٦

[2] وهو على عقيدة أهل الحديث.

[3] زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٤٨٥

[4] فتح القدير للشوكاني ٣/ ٨٣

[5] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن ص٤١٤؛ فهناك من رآها عامة وهناك من خَصصها.

أننا على عقيدة أهل الحديث فلا نَقد يوجَّهُ إلينا لأن السلف اختلفوا في بعض تفسيرات «استوى»[١]، ولكن لو كان أشعريٌ أو ماتريديٌ يختار هذا الرأي بالطبع سنوجَّه له سهام النقد لأننا نعلم أنه يثبت بعض الصفات ولكن على غير معناها الظاهري.

فيجِب أن يفهم عوام ومقلدو عقيدة أهل الحديث بأن هناك فرقٌ بين إنكار الصفات بالكلية[٢] وبين إثباتها لكن مع التأويل[٣].

---

[١] آية العلوّ لا خلاف فيها، وإنما بعض الأيات التي قال الله فيها أنه «استوى إلى السماء» فاختلفوا فيها وقد نشرناه مرة على صفحتنا.

[٢] كالمعتزلة والجهمية القدامى.

[٣] كالأشعرية والماتريدية.

المثال العاشر: صفحة "٤٧٩" من سورة القصص الآية رقم "٨٨" في قوله تعالى: {إِلا وَجْهَهُ} .

قال جلال الدين:"إلا إياه".

قال الشيخ الخميس: غفر الله للمؤلف فقد حرف معنى صفة الوجه إلى معنى الذات وهذا تعطيل واضح فالوجه من صفات الله الحقيقية التي تليق به سبحانه ولا شك أن الوجه يستلزم الذات فقوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ} معناه كل شيء فانٍ إلا تعالى أي يبقى وجهه تبارك وتعالى لا يهلك فيلزم من بقاء وجهه بقاء ذاته فلا يجوز إرادة اللازم ونفي الملزوم. بل يجب إثبات الملزوم مع إثبات اللازم.

قال الشافعي الفاسي: غفرَ الله للشيخ، ظاهر تفسيرِ جلال الدين صحيح ومقبول، وإنما المسألة هي كسابقتها أن المُفَسِّرَ أشعريٌ فلا يُقبَلُ منه هذا الاجمال، ووَرَدَ عن مفسرين من أهل الحديث مثل ذلك:

قال ابن أبي زمنين: «{وَجهه} مَنْصُوبٌ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ، الْمَعْنَى: إِلَّا إِيَّاهُ».[(١)]

ورويَ عن مجاهد: «إلا هو». وكذلك فسرها ابن كثير[(٢)]، وفيصل الحريملي[(٣)]، والألوسي[(٤)].

ورويَ عن أبي العالية ومجاهد والثوري: «إلا ما أريد به وجهه».[(٥)]

وبالرغم أن أبا العالية ومجاهد والثوري أَوَّلوا الوجه، إلا أنه لا يعني أن تفسيرهم خاطيء أو أنهم من أهل التأويل، وإنما هو تفسير وتأويل لكلمة في أيةٍ واحدة وليست كل أمثالها.

تفسير جلال الدين صحيح، ولكن نحن نعلَم أنه ينكِرُ ظاهرَ الأية لذلك ننكرُ عليه.

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣/ ٣٣٨

(٢) تفسير ابن كثير - ت السلامة ٦/ ٢٦١

(٣) توفيق الرحمن في دروس القرآن ٣/ ٣٩٦

(٤) تفسير الألوسي = روح المعاني ١٠/ ٣٣٥

(٥) البخاري كتاب التفسير ٤/ ١٧٨٧؛ والطبري "جامع البيان" ٣/ ٤٥٩

وذكر هذا القول ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" ١٠/ ٤٩٢، عن مجاهد والثوري ثم قال: وهذا القول لا ينافي القول الأول فإن هذا إخبار عن كلِّ الأعمال بأنها باطلة إلَّا ما أريد به وجه الله تعالى من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة، والقول الأول -قول مجاهد- مقتضاه أن كلَّ الذوات فانية وزائلة إلَّا ذاته تعالى وتقدس فإنه الأول والآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء. ا. هـ

المثال الحادي عشر: صفحة "٢٥٧" من سورة فاطر الآية رقم "١٠" في قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} .

قال جلال الدين:"إليه يصعد الكلم الطيب قال يعلمه وهو لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه يقبله".

قال الشيخ الخميس: غفر الله للمؤلف فليس معنى إليه يصعد الكلم الطيب العلم، فهذا صرف للنص عن ظاهر معناه إلى معنى غير ظاهر وتعطيل لصفة علو الله، بل معناه: أن الكلم الطيب من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب يرفع إلى الله ويعرض عليه ويثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى و"العمل الصالح" من أعمال القلوب وأعمال الجوارح "يرفعه" الله تعالى إليه أيضاً كالكلم الطيب.

وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب وذلك لأن العمل الصالح برهان على صحة وصدق الكلم الطيب الصادر من العبد على لسانه فيكون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة فهي التي ترفع كلمه الطيب فإذا لم يكن له عمل صالح لم يرفع له قول إلى الله تعالى[1]، وهذه الآية من أعظم حجج أهل السنة على أهل البدع في باب إثبات صفة العلو لله تعالى.

قال الشافعي الفاسي: الاختلاف في رفع الكلم والعمل أو رفع الكلم للعمل لا مشكلة فيه، إنما المسألة التي قالها الشيخ أن تأويل ظاهر الأية هو أنه تعطيل لعلو الله! كيف ذلك؟

قال الزجاج: «المعنى إِذَا وَحَّدَ اللهَ وعجل بِطَاعَتِه ارْتَفَع ذَلِكَ إلى الله، والله – عزَّ – وجل – يرتفع إليه كل شيء ويعلم كل شيء»[2].والذي يقرأ تفسير الزجاج يعلم أنه يُأوِّل الصفات التي نثبتها منها العلو.

قال أبو منصور الماتريدي: «فإذا كانت أعمال المؤمنين وأرواحهم ترفع إلى السماء وتصعد

[1] تفسير كلام المنان "٦/ ٣٠٣-٣٠٤"

[2] معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٦٥

إليها».[1]

قال قتادة[2]: «يرفع الله العمل الصالح لصاحبه. أي: يقبله»[3]، أوردته للبحث فيه من القاريء.

قال الواحدي: «{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} قال مقاتل والمفسرون: إلى الله يصعد كلمة التوحيد، وهو: قول لا إله إلا الله».[4]

وبالرغم من تأويلهم للعلو إلا أنهم قالوا برفع العمل الصالح، فقد يكون عند بعضهم تأويل ذلك بسبب إنكار الاستواء لا أنكِرُ ذلك، لكن عند البعض لا يؤثر.

فإن علِمنا ذلك، عَلِمنا أنه قد يتأول المرء الظاهر هنا ليس بسبب تأويله للعلو.

قد يقول فلان «قد يكون جهِلَ الحديث» أقول كيف لأحد كبار فقهاء الشافعية وعلم العقيدة جهل حديث مهم مثل هذا؟.

هذا بخلاف أن ظاهر تفسير جلال الدين صحيح حيث رفع العمل يُعلِم بقبوله.

أما على تفسير عامة أهل الحديث فالأية على ظاهرها وهي دليل على علوّ الله ﷻ واستواءه على العرش، أما عند أهل الكلام فهو ليس دليل على العلو حتى وإن أخذوا بظاهر الأية، لأن هناك آيات أصرَحُ منها ولم يعتبروها إثبات وهو بسبب قاعدتهم أن كل ما أوهم التشبيه فيجب تأويله.

---

[1] تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ٤/ ٤٢١

[2] في أحد أقواله، ولا أعلم هل صحَّ إليه أم لا، لكن الجزم مهم؛ وإيراد الشوكاني له في تفسيره له دلالة مهمة.

[3] التفسير الوسيط للواحدي ٣/ ٥٠٢. فتح القدير للشوكاني ٤/ ٣٩١

[4] التفسير البسيط ١٨/ ٤٠٦

المثال الثاني عشر: صفحة "٥٠٠" من سورة لقمان الآية رقم "٢٧" في قوله تعالى: {مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ}.

قال جلال الدين:"المعبر بها عن معلوماته".

قال الشيخ الخميس: تفسير كلمات الله بمعلوماته خلاف ما فهمه السلف منها، وهو بالتالي عدول عن ظاهر اللفظ، بل كلماته سبحانه هي كلامه وقوله الذي لا نفاد له، لأنه سبحانه أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء فلا حد لكلامه سبحانه فيما مضى ولا فيما يُستقبل، وما يقدر من الأشجار والبحور لتكتب به كلمات الله لا نفاد له، وتفسير كلمات الله وبمقدوراته، أو معلوماته تفسير لها بأمور وجوديه وعدمية، وكلمات الله تعالى الموصوفة بأنها لا تنفد هي أمور وجودية، وكأن هذا التفسير الذي ذكره المؤلف يرجع إلى مذهب الأشاعرة والماتريدية الحنفية في كلام الله، وهو أن كلام الله معنى واحد نفسي قديم فلا يوصف بالتعدد، وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، فإنهم يقولون: لم يزل الله ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء وكيف شاء وكلماته لا نهاية لها، فيوصف تعالى بأنه قال ويقول ونادى وينادي كما أخبر بذلك تعالى عن نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثاً من خلقه[١].

قال الشافعي الفاسي:

قول «المُعَبّر بها» قال الجمل الشافعي الأشعري: «يعني على سبيل الفرض والتقدير، أي لو كان يعبر به وإلا فالتعبير به محال، لأن التعبير إنما يكون بالألفاظ المحدثة»[٢].

وفي هذه مسألة تخالف أهل الحديث، وهو أن أهل الكلام يطلقون لفظ «القديم»على كلام الله، فعندنا أن صفة الكلام هي صفة لله منها ما هو مُحدَثٌ[٣] ومنها ما هو غير محدث[٤]؛ هذا بخلاف أن

---

[١] تفسير ابن جرير "٢١/ ٨٠-٨٢" والبغوي "٦/ ٢٩٢" والسعدي "٦/ ١٦٦"

[٢] حاشية الجمل على الجلالين ج٦ ص١٢٨.

[٣] القرآن الذي أسمعه الله ﷻ لجبريل ثم أسمعه جبريل لسيدنا محمد ﷺ.

[٤] أيات القرآن المكتوبة في اللوح المحفوظ.

الأشاعرة يرون أن كلام الله هو كلام نفسي والقرآن هو حكاية كلام الله أي أنه المفترض مخلوق؟! لا بل يقولون هو حكاية كلام الله وغير مخلوق؛ فلو كان كلام جلال الدين يقصد به الحكاية فهو خاطيء عندنا، وإن كان يقصد به أن كلام الله قديم فهو حاد عن وسطية أهل السنة والجماعة.

وأما كلام الشيخ بأن تفسير كلام الله بمعلوماته خلاف السلف، فهذا فيه نظر:

قال مقاتل: «مَا نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ يعني علم الله».[1]

قال السدي: «{مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ} [لقمان: ٢٧]، يَعْنِي: عِلْمَ اللهِ وَعَجَائِبَهُ».[2]

«ومن صفات الله تعالى: سعة علمه وأنه لا نفاد ولا حدود لمعلوماته فكلمات الله: المعلومات».[3]

هذا بخلاف أن هناكَ بعض أهل الكلام من قالوا أن «كلمات الله» أي كلام الله، بغض النظر عن إلحادهم في مسألة «كلام الله»:

انظر لكلام الجمل السابق.

قال السمعاني: «مَا نفدت كَلِمَات الله أى: كَلَام الله وَعلمه».[4]

ابن الجوزي: «فكُتب بهذه الأقلام وهذه البحور كلمات الله ﷻ لتكسّرت الأقلام ونفدت البحور».[5]

والمعلوم أن أهل الكلام كما قلنا يؤمنون بكلام الله، فإن أولوا الأية فلا يُفهَمُ منه أنه إنكار؛ والخلاف هنا في تفسير كلمات الله، مع عدم مخالفة أنه علم وكلام الله.

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٤٣٨؛ «ولم ينفد علم الله وكلماته ولا عجائبه». تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٤٣٨

[2] تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٦٨٠

[3] التفسير الوسيط - الزحيلي ٣/ ٢٠٣٤

[4] تفسير السمعاني ٤/ ٢٣٥

[5] زاد المسير في علم التفسير ٣/ ٤٣٤

المثال الثالث عشر: صفحة "٥٠٢" من سورة السجدة الآية رقم "٥" في قوله تعالى: {يَعْرُجُ إِلَيْهِ}.

قال جلال الدين:"يرجع الأمر والتدبير".

قال الشيخ الخميس: يستفاد من مجموع أقوال السلف في تفسير هذه الآية أن العروج بمعنى الصعود فالملائكة تنزل بأمر الله تعالى إلى الأرض ثم ترجع صاعدة بأمر ربها، وهذا إثبات لعلو الله تعالى على خلقه، قال ابن جرير الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعبدون من أيامكم خمس مئة في النزول وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل"[1].

قال الشافعي الفاسي: أورد الطبري اختلاف المفسرين في تفسير الأية، مع اتفاقهم -أهل الحديث- على أن الأية تفيد العلو؛ وأما تفسير جلال الدين فلا أرى فيه أي شيء في ظاهره يخالف عقيدتنا، فالأمر والتدبير ينزل من السماء إلى الأرض ثم يرجع إلى السماء مرة أخرى هذا ظاهر كلامه:

قال قتادة: «يَنْحَدِرُ الْأَمْرُ وَيَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِقْدَارُهُ أَلْفُ سَنَةٍ».[2]

ولكن أورَدَ الجمل الشافعي في حاشيته أن مقصد جلال الدين: « أي: التصرف في المخلوقات بالحشر والحساب ووزن الأعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يقع في ذلك اليوم».[3]

وهذا التفسير أيضًا له وجه:

قال عكرمة: «(ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال: يوم القيامة».[4]

وأورده مِكِّي بن أبي طالب في الأقوال: «يدبر الله أمر الدنيا وما حدث فيها مما يجازي عليه الناس وغيرهم من أهل السماء إلى أن تقوم الساعة ويبعث الناس إلى الحساب، ثم يعرج إليه ذلك الأمر فيحكم

---

[1] تفسير ابن جرير "١٠/ ٢٣٢"

[2] تفسير عبد الرزاق ٣/ ٢٦ بسند صحيح.

[3] حاشية الجمل على الجلالين ج٦ص١٣٥

[4] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ١٨/ ٦٥٩

فيه في يوم كان مقداره ألف سنة، وهو يوم القيامة». [(١)] وهذا القول يشابه قول التدبير ألف سنة بألف سنة.

وكذلك الشوكاني: «وَقِيلَ: إِنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ حِينَ يَنْقَطِعُ أَمْرُ الدُّنْيَا، وَيَمُوتُ مَنْ فِيهَا». [(٢)]

فالتفسير موجود في كتب من هم على عقيدة أهل الحديث، وإن كان بصيغة التضعيف إلا أن معناه أنه لا يخالف العقيدة وإلا لذكروا أقوال أهل الكلام المعتمدة من باب أولى.

ويجب التنبه إلى شيء، أن الأية عند بعض أهل الكلام لا تعارض تأويلهم الاستواء:

قال الماتريدي: «وقوله: (يَعْرُجُ إِلَيْهِ)، أي: يصعد في قول الْقُتَبِيّ وأبي عَوْسَجَةَ». [(٣)]

[(١)] الهداية الى بلوغ النهاية ٩/ ٥٧٤٧

[(٢)] فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٨٦

[(٣)] تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ٨/ ٣٢٩

المثال الرابع عشر: صفحة "٥٥٦" من سورة ص الآية رقم "٧٥" في قوله تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} .

قال جلال الدين:"أي توليت خلقه وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق لم يتول[(١)] الله خلقه".

قال الشيخ الخميس: غفر الله للمؤلف فليس تولي خلق آدم معنى اليدين بل هو تعطيل لصفة اليدين وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف، قال ابن جرير الطبري: "أي شيء منعك من السجود {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} يقول: لخلق يدي يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال: ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة قال: أخبرني عبيد المكتب، قال: سمعت مجاهداً يحدث عن ابن عمر قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم ثم قال لكل شيء كن فكان".[(٢)]

ولولا أن المقصود بذلك خلقه آدم باليدين حقيقة، ما كان هناك مزية لآدم ولا تشريف له، فإن كل المخلوقات تولى الله خلقها، وخلقها بقدرته فمن هنا يبطل تأويل من فسر اليدين بالقدرة أو بتولي الخلق أو غير ذلك.

قال الشافعي الفاسي: قال الجمل الشافعي في حاشيته على الجلالين -وكذا كلام الجلالين- ما يوحي أن المقصد أن الله خلق آدم بنفسه بدون واسطة كالأب والأم كباقي المخلوقات، وإن قَصَدَ هذا فهو صحيح من ناحية المضمون ونؤمن به، إلا أننا نعلَمُ أن جلال الدين يُتأول صفة اليد على معانٍ وهذا يجعلنا لا نرضى بتفسيره على مذهبنا إلا بتصريحه بالصفة على ظاهرها كما فعل بعض متقدمو الأشعرية[(٣)].

[(١)] تصحيف أو سهو؛ والصحيح «فَإِنَّ كُلّ مَخْلُوق تَوَلَّى الله خلقه». تفسير الجلالين ص٦٠٥

[(٢)] تفسير ابن جرير "٦٠٦/١٠" ط. دار الكتب العلمية

[(٣)] الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص (١٠٦)، الفصل (٢: ١٦٦، ١٦٧)، المحلي (١: ٤١)

يقول الجويني في الإرشاد: " ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعينين والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إيباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود"الإرشاد (ص: ١٥٥).

ويجب أن نوضِّحُ أن ما افترضناه خاطيء بحكم أنه قصَدَ هنا التأويل لأن هذا لفظٌ تأويلي ينتشر بين أهل الكلام، ولكن كان كلامنا في السطور الأولى هو افتراض وإجابة عليه.

وهل أوَّلَ أخرون من أهل الكلام اليد بالتولية؟

أشار لذلك الجصاص الحنفي[١]؛ وقد قُلنا أشار لأنهم دائمًا يذكرون «تولى خلقه بنفسه»فنتردد بين أنهم يقصدون اليد بالتولي أو بالنفس، لكن أوضح ذلك الواحدي والماوردي[٢]، وقد يظل الأمر مبهمًا أو يحتمل ما لا نراه ولذا صرَّحَ بذلك الراغب الأصبهاني بما لا شك فيه فقال: «فعبارة عن تولّيه لخلقه باختراعه الذي ليس إلا له عز وجل. وخصّ لفظ اليَدِ ليتصوّر لنا المعنى»[٣].

وإن أخذوا بالتولية أو القوة هل لا يكون لآدم مِزيَة؟ الحقيقة أرى أنه على كلامهم ما زال له مزية وهو أن الله تولى خلقه بلا أمر أو واسطة فهذه ما زالت مزية له، وأما الكلام على المخلوقات الأخرى بأن الشيطان كان ليكون له نفس المزية فنحن لا نعلم شيئًا عن خلق المخلوقات الأخرى الأُمّ كيف كانت، وإن افترضنا ذلك فتظل المزية لآدم بقول الله ذلك ونسبة خلق آدم إليه.

---

[١] أحكام القرآن للجصاص ط العلمية ٢/ ٥٦٠.

[٢] «{لما خلقت بيدي} أَيْ: تولّيت خلقه». الوجيز للواحدي ص٩٢٧؛ فذكر ذلك وسكت ولم يتكلم.

وأما الماوردي فأورد في التفسير ثلاثة أقوال منها القوة والقدرة ويبعد أن يكو القول الثالث على ظاهره لأنه إثبات للصفة على مذهبنا «لما توليت خلقه بنفسي». تفسير الماوردي = النكت والعيون ٥/ ١١١

[٣] المفردات في غريب القرآن ص٨٩١

المثال الخامس عشر: سورة الزخرف الآية رقم "٣" في قوله تعالى: **{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}** .

قال جلال الدين:"أوجدنا الكتاب بلغة العرب".

قال الشيخ الخميس: هذا كلام باطل؛ لأن المؤلف تأثر بالزمخشري وهو جهمي معتزلي، فقد قال: "…. أي خلقناه"[١]، والصواب ما قاله ابن جرير وابن كثير: "أي أنزلناه…."[٢].

قال الشافعي الفاسي: وأما خطأ الزمخشريّ فلا يوافقه عليه الأشاعرة وإن تأثر به بعضهم، قال السمين الحلبي[٣]: «والجعل هنا تصيير، ولا يلتفت لخطأ الزمخشري في تجويزه أن يكون بمعنى خلقناه».

وأما قول جلال الدين «أوجدنا» فهو في ظاهره ميل إلى القول بخلق القرآن، فإن كان هكذا فهذا مرفوضٌ، وإن كان يقصد بأوجدنا أي حكاية كلام الله عندهم فهو أيضًا مرفوض عندنا، ولكنه يوحي بالخلق فقد يرفض عندهم أيضًا.

ولكن هناك احتمالية أن يكون تفسيره مقبولاً عند أهل الكلام لعدم نقد السمين الحلبي والجمل كلام جلال الدين بشكل صريح، ولجريان بعض المؤلفين كما فعل المفسِّر.

قال الزحيلي: «{إِنّا جَعَلْناهُ} أوجدنا القرآن».[٤]

قال الخطيب الشربيني: «{إنا جعلناه} أي: أوجدنا هذا الكتاب».[٥]

---

[١] الكشاف ٣/ ٤٧٧

[٢] جامع البيان ٢٥/ ٤٧ وتفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢

[٣] حاشية الجمل على الجلالين ج٧ص٧٧

[٤] التفسير المنير – الزحيلي ٢٥/ ١١٥

[٥] السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٣/ ٥٥٢

المثال السادس عشر: صفحة "٥٦٦" من سورة الزمر الآية رقم "٦٧" في قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعـًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

قال جلال الدين:"ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره {وَالأَرْضُ جَمِيعـًا} حال: أي السبع "قبضته" أي مقبوضه له: أي في ملكه وتصرفه {يوم القيامة والسماوات مَطْوِيَّات} مَجْمُوعَات {بِيَمِينِهِ} بِقُدْرَتِهِ"

قال الشيخ الخميس: غفر الله للمؤلف فليست القدرة هي معنى اليمين فهذا عدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف، قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته، هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك إلى عبادة الأوثان ... وقوله: {وَالأَرْضُ جَمِيعـًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضته في يوم القيامة {وَالسَّماوَات} كلها {مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} فالخبر عن الأرض متناه عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقوله: {قَبْضَتُه} ثم استأنف الخبر عن السموات فقال: {وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} وهي مرفوعة بمطويات ورُوي عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون: الأرض والسماوات جميعـًا في يمينه يوم القيامة ... وقال: آخرون بل السماوات في يمينه والأرضون في شماله".

وقد أخرج البخاري في صحيحه "١٣/ ٣٩٣" ح ٧٤١٢ في الإيمان، باب: قول الله تعالى لما خلقت بيدي من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعـًا: "إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه، ثم يقول أنا الملك" فهذا الحديث حجة في تفسير الآية بأن السماوات يطويها ربنا بيمينه ويقبض الأرض ويهزهن ويقول أنا الملك[١١]، وإذ قد ثبت النص فلا مجال لتأويل.

قال الشافعي الفاسي: وافَقْنا الشيخ هنا، فإن القبض على ظاهره.

فإن اليد صفةٌ لله عند السلف وأهل الحديث، وسبب تأويل أهل الكلام للصفة لأنها تُوهِمُ التشبيه

---

[١١] صحيح البخاري ٦/ ٢٧٢٩ ت البغا

في ظاهرها فوجب صرفها عن ظاهرها.

قال ابن عباس: «يقبض على الأرض والسموات جميعا فما يرى طرفهما من قبضته»[١].

ابن عباس: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله جلّ ذكره إلا كخردلة في يد أحدكم».[٢]

قال الحسن: والأرض جميعـًا قبضته يوم القيامة، قال: كأنها جوزة بقضها وقضيضها.

قال الضحاك: السماوات والأرض مطويات بيمينه جميعـًا.

ومن قال أن الله يقبض الاثنين في يمينه وشماله[٣] فهذا يتفرع على مسألة من يرى أن يدي الله يمين وشمال، وهناك من يرى أنهما يمين فقط؛ والذين قالوا أنه يقبض الاثنين في اليمين والشمال اعتمدوا على حديث ابن عمر عن رسول اللهﷺ: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول:"يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِه وأرْضَهُ بِيَدَيْه" وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، وجعل يقبضهما ويبسطهما، قال: ثمَّ يَقُولُ:"أنا الرَّحْمَنُ أنا المَلِك، أيْنَ الجَبَّارُونَ، أيْنَ المُتَكَبِّرُونَ" وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه، وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٦٨٥

[٢] قول ابن عباس والحسن والضحاك. الهداية الى بلوغ النهاية ١٠/ ٦٣٧٤

[٣] ولم أجد من قال ذلك، وإنما أورد الطبري الأحاديث المرفوعة فقط.

[٤] مسلم (٢٧٨٨) (٢٥) و (٢٦)، والنسائي في "الكبرى" (٧٦٤٢) و (٧٦٤٨) البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) (٢٤)، وأبو داود (٤٧٣٢) "مسند أحمد" (٥٤١٤)، و"صحيح ابن حبان" (٧٣٢٤).

المثال السابع عشر: صفحة "٦٦٠" من سورة الحديد الآية رقم "٣" في قوله تعالى: {وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}.

قال جلال الدين:"الظاهر: بالأدلة عليه، والباطن عن إدراك الحواس".

قال الشيخ الخميس: الأولى تفسير هذين الاسمين "الظاهر والباطن" بما فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء"، فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه على خلقه واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه وأنه لا يحجبه شيء فسمعه واسع لجميع الأصوات، وبصره نافذ إلى جميع المخلوقات.

قال الشافعي الفاسي: لم يقل أحد من أهل الحديث ما قاله جلال الدين، إلا أن بعض أهل الكلام قالوه.

قال الطبري: «(وَالظَّاهِرُ) يقول: وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء، فلا شيء أعلى منه. (وَالْبَاطِنُ) يقول: وهو الباطن جميع الأشياء، فلا شيء أقرب إلى شيء منه»[1].

فالظاهر دليل عندنا على العلو، وأما الباطن فاتفق معنا أهل الكلام في تفسيرها بالإحاطة بالأشياء[2].

ولكن هل يجوز عند أهل الحديث تأويل «الظاهر»بغير «العلو»؟ الظن نعم لأن هناك أمارات تشير لذلك والأصل عدم وجود إجماع، وأما تفسير الطبري «وهو الظاهر على كل شيء» يحتمل العلو والقهر، وعطفه بالعلو بعد ذلك قد يكون تفسيرًا للذي قبله أو جمع بين قولين.

يُروى عن ابن عباس: «الظَّاهِر هُوَ الْغَالِب».[3]

وَقَالَ السُّدِّيُّ: « وَالظَّاهِرُ بِتَوْفِيقِهِ إِذْ وَفَّقَكَ لِلسُّجُودِ لَهُ وَالْبَاطِنُ بِسَتْرِهِ إِذْ عَصَيْتَهُ فَسَتَرَ عَلَيْكَ»[4].

---

[1] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ٢٣/ ١٦٨

[2] «وَالْباطِنُ يعني: العالم بكل شيء». تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/ ٤٠١

[3] تفسير السمعاني ٥/ ٣٦٥،التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي ١٤/ ٢٨٤، الثعلبي في "تفسيره" (٩/ ٢٢٧)

[4] تفسير البغوي – طيبة ٨/ ٢٩

وقال الْجُنَيْدُ[(١)]: «وَالظَّاهِرُ بِكَشْفِ الْكُرُوبِ، وَالْبَاطِنُ بِعِلْمِ الْغُيُوبِ»[(٢)].

وقال الضحاك: « {وَالظَّاهِرُ}: الذي أظهرُ الظَّواهر، {وَالْبَاطِنُ}: الذي أبطنُ البواطن»[(٣)].

وهناك أقوالٌ كثيرة مروية عن السلف يصعب ذكرها هنا[(٤)]، **إلا أن أهمها ما عَّلقَهُ البخاري في كتاب «التوحيد»**: قال البخاري: «قَالَ يَحْيَى[(٥)]: {الظَّاهِرُ} عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».[(٦)]

هذا بخلاف أنه أورده وكأنه قوله هو: «{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}: لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ، يُقَالُ: الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا».[(٧)]

وإن اعترض أحدٌ بأنه قال «يُقال»فنقول ليست في كل حالاتها تَضْعِيف، وإن كان يرى ضعف هذا التفسير –فرضًا–فمعناه عدم مخالفته العقيدة المجمع عليها عندنا أو يخالف الحديث لأنه لو كان يخالف لكان باطلاً بالإجماع –أي التفسير هذا–، فهذا معناه أن هذا التفسير لا يخالف العقيدة وأنه ضعيف عنده –فرضًا–من ناحية ترجيح الأقوال.

هذا بخلاف أيضًا عدم تفسير ابن كثير للأية كلها، فهو قال بأن المفسرين مختلفون في تفسيرها[(٨)] وأورد نقل البخاري عن الفرَّاء فقط، وهذا يُعلِمُ أنه لو كانت الأية عقائدية –يظهر فيها خلاف أهل الحديث مع غيرهم– لما أورد الأحاديث والأثار فقط.

وقد فَطَنَ الشيخ المقدِّم لذلك: «فالظاهر معناه: أنه ظاهر على كل شيء علمـًا، يعلم كل شيء».[(٩)]

---

(١) كان الجنيد من أهل الزهد وهو إمام إلا أنه كان من أهل السنة والجماعة أيضًا.

(٢) تفسير البغوي – طيبة ٨/ ٢٩

(٣) الثعلبي في "تفسيره" (٩/ ٢٢٨)

(٤) تجدها: التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي ١٤/ ٢٨٥

(٥) يحيى الفراء النحوي الشهير.

(٦) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٨٧ ت البغا، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٢

(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٨٥١ ت البغا

(٨) «وَقَدِ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَقْوَالُهُمْ عَلَى نَحْوٍ مِنْ بِضْعَةَ عَشَرَ قَوْلًا». تفسير ابن كثير – ت السلامة ٧/ ٦

(٩) تفسير القرآن الكريم – المقدم ١٥٥/ ١١ بترقيم الشاملة آليا

المثال الثامن عشر: سورة الواقعة الآية رقم "٧٤" في قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} .

قال جلال الدين:"وقيل: "باسم" زائد".

قال الشيخ الخميس: الصواب أن "اسم" غير زائد؛ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: "فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى"[١].

قال الشافعي الفاسي: هذا ليس من الخلاف في «الأسماء والصفات»التي جعل الشيخ الباب له، فهو خلافٌ لغوي نحوي، وعلى العموم نناقشه هنا.

«زائدة»هذه فيها مُشكِل، أننا إن نظرنا لكتب التفسير وجدنا أن الإشارة دائمًا بالزيادة هي للـ«باء»وليس لـ«اسم»، وهو الراجح عندي على الرغم من تصريح الجَمَلِ الشافعي إلى أن جلال الدين يقصد «باسم»كلها؛ وعلى كُلٍّ فإن كنت مصيبًا فهو قولٌ في التفسير[٢]، وإن لم أكن فسنناقش الرأي الأخر.

والحقيقة لم يخطء جلال الدين فهذا القول مشهور، **هناك من قال بأن «باسم» زائدة:**

قال الرازي: «فَمَا فَائِدَةُ ذِكْرِ الِاسْمِ وَلَمْ يَقُلْ: فَسَبِّحْ بِرَبِّكَ الْعَظِيمِ؟ فَنَقُولُ الْجَوَابُ عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا: هُوَ الْمَشْهُورُ وَهُوَ أَنَّ الِاسْمَ مُقْحَمٌ».[٣]

قال الخطيب الشربيني: «والمشهور أن الاسم مقحم».[٤]

أورده المظهري من ضمن الأقوال: «وقيل الباء زائدة ولفظ الاسم مقحم ومعناه فسبح ربك العظيم».[٥]

---

[١] جامع البيان ٢٧/ ٢١٤

[٢] تفسير البغوي – طيبة ٨/ ٢٧ زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٢٢٧

[٣] تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٩/ ٤٢٣

[٤] اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٢٧

[٥] التفسير المظهري ١٠/ ٥٨

قال الألوسي الأشعري في تفسير «سبح اسم ربك الأعلى»: «وذهب كثير إلى أنه مقحم».[١]

ووقال الشيخ الجزائري السلفي: «وجائز أن يكون اسم مقحماً والتقدير فسبح ربك أي نزهه عن الشريك والشبيه وعن كل نقص وهو العظيم الذي ليس شيء أعظم منه».[٢]

وقد يسأل السائل ما الدليل؟ نقول قَوْلِ لَبِيدٍ في أبياته[٣]:

إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السّلَامِ علَيكُما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فقدِ اعتذرْ

فكانت «اسم»مضافة هنا، ولا يختصُّ هذا بكلمة «اسم»فقط، بل تكرر في القرآن فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى [الْفَتْح: ٢٦] فـ«كلمة»زائدة، ويشهد لذلك قَوْلِ بَشَّارٍ بن برد هَاجِيًا[٤]:

وَكَذَاكَ، كَانَ أَبُوكَ يُؤْثَرُ بِالْهُنَى ... وَيَظَلُّ فِي لَفْظِ النَّدَى يَتَرَدَّدُ

---

[١] تفسير الألوسي = روح المعاني ١٥/ ٣١٤

[٢] أيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٢٧

[٣] ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص٥١

[٤] موسوعة دواوين الشعر العربي (الصفحة: ٣٢٢ – الجزء: ٢)

المثال التاسع عشر: صفحة "٦٧٨" من سورة الصف الآية رقم "٤" في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ} .

قال جلال الدين: {إنَّ الله يُحِبّ} يَنْصُر وَيُكْرِم.

قال الشيخ الخميس: إن كان المؤلف يقصد أن هذا تفسير المحبة فهذا تعطيل لها، وإن كان يقصد أن هذا من آثار المحبة ومن لوازمها مع إثبات المحبة لله فهذا حق إن الله إذا أحب عبداً يكرمه وينصره ويجزيه.

قال الشافعي الفاسي: قد تكلمنا عن صفة «المحبة»في المثال الثالث، ولكن نعيد أن مقصد جلال الدين هو تأويل صفة المحبة إلى الثواب وغيره، ولو كان يثبت هذه الصفات ما احتجنا إلى التعليق عليه لأن الخلاف حينها كان سيكون مجرد خلافًا تفسيريًا.

المثال العشرون: صفحة "٦٩٢" من سورة الملك الآية رقم "١" في قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} .

قال جلال الدين:{الَّذِي بِيَدِهِ} في تصرفه.

قال الشيخ الخميس: هذا تعطيل لصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف، قال ابن جرير: "الذي بيده الملك: بيده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه"[١].

فلا ينبغي تفسير صفة بأخرى لأن التصرف غير اليد وإن كان لازمًا لها ومن القواعد المقررة والمتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

قال الشافعي الفاسي: قد تكلمنا على صفة «اليد» في المثال السادس عشر.

وتفسير الطبري قد يُحمَلُ على وجوه[٢]، **ولكن هناك من أهل الحديث من تأولوها:**

قال التستري: «الذي بيده الملك يقلبه بحوله وقوته، يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء، وهو القادر عليه».[٣]

قال القشيري: «بِيَدِهِ الْمُلْكُ» : بقدرته إظهار ما يريد، وهو على كل شيء قدير.[٤]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «بِيَدِهِ الْمُلْكُ يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُغْنِي وَيُفْقِرُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ».[٥]

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ[٦]: «لَهُ مُلْكُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَعَزَّ بِهَا مَنِ اتَّبَعَهُ وَذَلَّ بِهَا مَنْ خَالَفَهُ».[٧]

---

[١] تفسير ابن جرير "١٢/ ١٦٩"

[٢] بل والذي أظنه أنه لم يقصد الصفة لظاهر ما يقوله.

[٣] تفسير التستري ص١٧٢

[٤] لطائف الإشارات = تفسير القشيري ٣/ ٦١٠

[٥] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن١٨/ ٢٠٦

[٦] صاحب المغازي والسير، إمام.

[٧] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن١٨/ ٢٠٦

قال الشيخ الشنقيطي: «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ. أَيْ: نُفُوذُ الْمَقْدُورِ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَصَرَّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِمَا يَشَاءُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ. اهـ».[1]

وكيف يجزم الشيخ بأن تأويلها ينفي صفة اليدين، وقد صرَّحَ بما أوردناه من خلاف ابن كثير؟

قال ابن كثير: «وَيُخْبِرُ أَنَّهُ بِيَدِهِ الْمُلْكُ، أَيْ: هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ بِمَا يَشَاءُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ لِقَهْرِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ وَلِهَذَا قَالَ: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}».[2] فلم يذكر أو يشر من قريب أو بعيد أنها صفة؛ وقال أن الله يمجِّدُ نفسه لذلك أعقبها بأنه قدير على كل شيء.

فإن **قال الشيخ الخميس**: ما تذكُرُهُ هنا إنما هو اختلاف التنوع -بين رأي جلال الدين والشيخ- وليس اختلاف التضاد!

قُلنا نعم، فهذا ليس من التضاد في شيء، ويلزم من هذا عدم تخطئة جلال الدين في تفسيره، وإنما نُعَلِّقُ عليه بـ«أن تفسيره مقبول، إلا أننا لا نقبله في العقيدة وحده إلا ومعه التصريح بأن اليد -عمومًا- صفة لله».

وإن كنا من الممكن أن نتشبثَّ بأن ظاهر ما يقوله المفسرون الكبار بأن الأية تتحدث عن حُكمِ الله، إلا أننا تساهلنا في ذلك بحكم أننا نجمع بين الرأيين؛ إلا أنه لو تشبثَّ فلانٌ بأن الأية ليست من الصفات لوجدنا له وجه، وإن كنا لا نرى رأيه.

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٢٢٧ ط الفكر

[2] تفسير ابن كثير - ت السلامة ٨/ ١٧٦

المثال الحادي والعشرون: صفة "٦٩٣" من سورة الملك الآية رقم "١٦" في قوله تعالى: {أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} .

قال جلال الدين:"من في السماء: سلطانه وقدرته".

قال الشيخ الخميس: هذا تعطيل لصفة العلو وعدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما جاءت به رسل الله وأنزلت به الكتب وصرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطبقت عليه العاقلة[(١)] المؤمنة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطبقت عليه الأمم ولاسيما هذه الأمة قبل ظهور الجهمية[(٢)] من أن الله تعالى في السماء على عرشه فوق عباده، قال ابن جرير في تفسير هذه الآية: "من في السماء: وهو الله"[(٣)].

وقال الإمام مالك: "إن الله في السماء وعلمه في كل مكان".

وقال أبو حنيفة: "من أنكر أن الله في السماء فقد كفر".

قال الشافعي الفاسي: أتفق مع الشيخ في هذه المسألة لأنها صريحة، وظاهر لفظ جلال الدين يوافق عقيدتنا، إلا أننا نعلم تأويله للأية.

ويردُّ على جلال الدين الإمام الشافعي نفسه بتفسير لا يحتمل التأويل:

قال الإمام الشَّافِعِي[(٤)] رحمه الله: [ثم معنى قوله في الكتاب: (مَن فِى السمَآءِ) مَنْ فوق السماء على العرش، كما قال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) الآية، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلا السماوات، فهو على العرش سبحانه وتعالى كما أخبر بلا كيف، بائن من خلقه، غير مماس من خلقه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)].

[(١)] حديث الجارية في صحيح مسلم.

[(٢)] الجهمية الكبار الأصليون أمثال المعتزلة والكُلَّابية، ومن تأثر بهم.

[(٣)] تفسير ابن جرير "١٢/ ١٦٩"

[(٤)] تفسير الإمام الشافعي ٣/ ١٠٦٣

المثال الثاني والعشرون: صفحة "٦٩٧" من سورة القلم الآية رقم "٤٢" في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} .

قال جلال الدين:"هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء".

قال الشيخ الخميس: هذا أحد القولين في تفسير الآية أن المراد بها شدة الهول يوم القيامة، وعليه فليست من آيات الصفات.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه، ويدل على هذا الحديث الثابت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحدا"[(١)].

وهذا ومما يجب أن يعلم أن الذين فسروا الآية بالتفسير الأول لم ينفوا عن الله تعالى صفة الساق التي ثبتت بها السنة، لكنهم لم يروا أن الآية دالة عليها ولم يعدوها من آيات الصفات، إنما أثبتوا الصفة – صفة الساق – بالسنة ولا منافاة بين القولين، فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول، وذلك بخلاف المعطلة الذين ينفون صفة الساق، ولا يثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة، بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر.

وهذا وإن كان محتملاً في الآية لكنها لا يحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى[(٢)].

قال الشافعي الفاسي: الغريب أنني من المفترض جئت هنا لأنقد كلام الشيخ الخميس في نقده لجلال الدين إلا أنني أنقده هنا لعدم نقده جلال الدين، فإن «ساق» في الأية لها تفسيران: قيل شِدَّة، وقيل ساق الله وهي صفة من صفاته. والتفسيران مشهوران عند السلف[(٣)] وكنت شاركتهما على صفحتي.

[(١)] أخرجه البخاري "٨/ ٦٦٣" ح ٤٩١٩ في التفسير باب "يوم يكشف عن ساق" من حديث عطاء عن أبي سعيد مرفوعاً

[(٢)] تفسير ابن جرير "١٢/ ١٩٧" وتفسير ابن كثير "٧/ -٩٠-٩١"

[(٣)] وهو قول قتادة ومقاتل بالمناسبة. تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٣٥ . تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٤٠٨

لكن نحن نعلم جيدًا أن من قالوا بأنها «شِدة» يؤمنون بإثبات صفة الساق لله[١]، وإنما تأولوها هنا لأنها جاءت نكرة فقط، وأما جلال الدين فهو تأولها مع عدم الإيمان بالصفة، فكان تفسيره هنا يشابه تأويله سابقًا للصفات مع كتابة كلام ظاهره يوافقنا.

وهل لتأويل الساق بالشدة دليل؟ نقول نعم وكيف تسأل على دليل أحد قولي السلف**!**

قال حاتم الطائي:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال سعد بن مالك[٢]:

كشف لهم عنْ ساقها ... وبدا من الشرِّ البراحُ

---

[١] لأنه ورد حديث صحيح واضح وضوح الشمس لا يقبل التأويل، وجاهدوا في تأويله فأولوه بما لا يقبله العقل.

[٢] جد طرفة بن العبد وانظر ديوان الحماسة ١/ ١٩٨، والخصائص ٣/ ٢٥٢ والمحتسب ٢/ ٣٢٦. وفى رواية القرطبي (١٨: ٢٤٨) وبدا من الشر الصّراح. والرواية مضطربة البحر المحيط: ٨/ ٣١٦

المثال الثالث والعشرون: صفحة "٧٠١" من سورة المعارج الآية رقم "٤" في قوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} .

قال جلال الدين: "إلى مهبط أمره من السماء".

قال الشيخ الخميس: الصواب في معنى الآية أن الملائكة الروح – وهو جبريل عليه السلام – تصعد إلى الله تعالى، والهاء ضمير عائد على الله عز وجل، {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} قيل إن مدة صعودهم يوم مقداره بالنسبة للخلق يساوي خمسين ألف سنة، ولكن المهم أن قوله تعالى: {إِلَيْهِ} إي: إلى الله تعالى.

قال الشافعي الفاسي: أورد الجَمَلُ الشافعي في حاشيته على التفسير: « **إلى المحل الذي ينزل إليه أمره تعالى وتتلقاه منه الملائكة الموكلون بالتصرف في العالم**»؛ وأما أهل الكلام فلا يرون الأية دليلاً على العلو، وإنما يرون أن الصعود يكون حتى الموضع الذي يأمر الله الملائكةَ فيه بما يريده، وإنما نتقدهم على باطنهم في تفسير الأية وإنكارهم العلو.

قال الشيخ أن الهاء تعود على «الله»؛ قُلنا لا يتعارض هذا عند أهل الكلام

قال الثعلبي: «{إِلَيْهِ} إلى الله تعالى».[1] وهو لا يثبت العلو.

فهم قالوا أن الهاء تعود على الله، ولكن قالوا أن المعنى هو المكان الذي فيه أمر الله.[2]

وهذا التفسير قد يكون مقبولاً ظاهريًا:

رويَ عن مجاهد (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) قال: «منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة».

قال ابن القيم في النونية: وكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ واحِدٌ ... وعُروجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدَّيَّانِ

قال الشارح السلفي: «هذا هو القول الثاني وهو اختيار الناظم أن العروج في الآيتين هو في يوم واحد،

---

[1] تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ط دار التفسير ٢٧/ ٣٣٧

[2] «{إِلَيْهِ}: أي: إلى الله تعالى، ومعناه: إلى حيث أمرَ الله». التيسير في التفسير – أبو حفص النسفي ١٥/ ٨

ولكن الاختلاف إنما هو في المسافة. فالآية التي قدرت العروج بخمسين ألف سنة فالمراد فيها من أسفل الأرض إلى العرش».[1]

وقال الطبري عند قوله تعالى: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٤]: "كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع"[2].

وكذلك هو ترجيح ابن كثير رحمه الله حيث قال: عند قوله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ....} كما قال تعالى: {مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) ....} وسيأتي إن شاء الله بيان أن هذه المسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة وهو قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح إن شاء الله"[3].

فحينها يكون ظاهر كلام جلال الدين مقبول من ناحية أننا نعتقده، إلا أنه ليس مقبولاً من ناحية أنه لا يعتقد ظاهر الاستواء، فإنه لو اعتقده وفسَّرَهُ هنا كما فعل ما كان به مشكلة.

---

[1] نونية ابن القيم الكافية الشافية – ط عطاءات العلم ٢/ ٣١٦

[2] جامع البيان (٧٠/ ٢٩)

[3] تفسير ابن كثير (٤/ ٧٤)

المثال الرابع والعشرون: صفحة "٧٣٤" من سورة البروج الآية رقم "١٤" في قوله تعالى: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} .

قال المؤلف: "المتودد إلى أوليائه بالكرامة".

قلت: فيه نظر، لأن فيه رائحة[١] صفة المحبة بالإكرام، والصواب أن يقال: الودود، صيغة مبالغة بمعنى فاعل، أي: المحب لمن تاب إليه وأناب؛ قال ابن جرير رحمه الله: "هو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه وذو المحبة له"[٢].

قال الشافعي الفاسي: لو لم يتعجل الشيخ في ذلك لكان أفضل، لأن تفسير جلال الدين صحيح.

قُلتُ في تفسير اسم «الودود» خلافٌ ذكره ابن تيمية ولا داعٍ للتفصيل، لكن هذا القول مما أورده ابن تيمية في «النبوات»[٣] نقلاً عن الخطابي[٤]: « أي أنّه يودُّ عباده الصالحين».

قَالَ مُجَاهِد: الواد لأوليائه.[٥]

قال الشيخ ابن عثيمين: «{الْوَدُودُ} مأخوذ من الود، وهو خالص المحبة، وهي بمعنى: واد، وبمعنى: مودود، لأنه عز وجل محب ومحبوب»[٦].

قال الشيخ وهف القحطاني: «فالودود هو المحب المحبوب بمعنى وادّ مودود، فهو الواد لأنبيائه، وملائكته، وعباده المؤمنين»[٧].فإن الله يودّ من يحبهم، ومن أثار محبة الله عباده المؤمنين في الدنيا أن يعطيهم الكرامات.

---

[١] قلت يرحمك الله: بل هما بمعنى واحد.

[٢] تفسير ابن جرير "١٢/ ٥٢٩"

[٣] النبوات لابن تيمية ١/ ٣٥٣

[٤] شأن الدعاء للخطابي ص٧٤

[٥] توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم الكافية الشافية ٢/ ٢٣٠

[٦] شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ١/ ٢٣٨

[٧] الثمر المجتنى مختصر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ص٤٩

المثال الخامس والعشرون: صفحة "٧٣٤" من سورة البروج الآية رقم "١٦" في قوله تعالى: {فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} .

قال جلال الدين: "لا يعجزه شيء" .

قال الشيخ الخميس: هو في نفيه للعجز لم يثبت كمال القدرة على فعل ما أراد، ومن أثبت القدرة فقد نفى العجز ضمناً، بخلاف العكس ولكن الآية فيها إثبات لصفة الإرادة، وفيه إثبات لقدرة الله تعالى التي ليس لها منتهى، ولا يعجزه شيء، فما أراده – سبحانه – فعله، لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

قال الشافعي الفاسي: وكلام جلال الدين لا يخالف الأصول المتفق عليها بيننا وبينهم، فهو وإن نفى العجز إلا أننا متأكدون مائة بالمائة من إثباته للإرادة والقُدرة.

وكأن جلال الدين يقصد هذا: «فعالٌ لما يريد -المشيئة- لا يعجزه شيء عن فعله» فرأى أن الأية في ظاهرها كفاية لمسألة المشيئة وعدم عجزه عن الشيء هو إثبات للقدرة؛ والذي يقرأ تفسير الجلالين يعلم أن له طريقة خاصة في التفسير، أقربُ إلى مَثَلِ «اللبيب بالإشارة يفهمُ»[1] فيختصر كثيرًا.

وبالمناسبة فالأية لها تفسيرات كثيرة.

[1] أقصد طريقته، وليس معنى أن من لم يفهم فهو غبي، وإلا لكنت منهم لأنني أحيانًا لا أفهم كلامه فأذهب للكتب الأخرى.

المثال السادس والعشرون: صفحة "٧٣٦" من سورة الأعلى الآية رقم "١" في قوله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى}.

قال جلال الدين: "الأعلى: صفة لربك".

قال الشيخ الخميس: الأعلى: اسم من أسماء الله يشتمل على إثبات صفة العلو لله تعالى ومعناه الأعلى من كل شيء، فهو أفعل تفضيل دال على علوه تعالى بكل معاني العلو فهو الأعلى قدراً ومنزلة، وهو الأعلى بالقهر والغلبة، وهو الأعلى بذاته فوق كل شيء وفي ذكر اسمه الأعلى في هذا الموقع بيان لموجب استحقاقه للتسبيح وهو التنزيه عن النقائض.

قال الشافعي الفاسي: تفسير جلال الدين والشيخ فيه تفصيل كبير.

قول جلال الدين بأن الأعلى صفة لربك، فهو صحيح والظاهر أنه لم يقصد بذلك إلا النحو واللغة فقط، وإن قَصَدَ بأنها صفة لله، فقد أصاب أيضًا؛ لكن جلال الدين يقصد بأن «العلو» هنا إنما هو علو صفة[1] وليس علو ذات[2] لأننا نعلم أن منهجه تفويض المعنى، وهذا يوافق نصف رأي أهل الحديث في مسألة علوّ الله، فنحن نرى علو الله هو علو صفة وذات.[3]

وأما جزم الشيخ الخميس بأنها صفة للعلو على العرش، فقد أشار الشوكاني[4] لخلاف بين المفسرين على أي منهما (اسم ربك) تعود (الأعلى)؛ فلو كانت تعود على الاسم فلا يكون المقصود علو الذات، وإن عادت على الرب فهي علو ذات وصفة.

وقد فهمنا الأول من ظاهر كلام الشيخ السعدي: «بأن تذكر أسماؤه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم».[5]

---

[1] أي أن أكمل الصفات لله عز وجل، قال تعالى: {ولله المثل الأعلى} [النحل: ٦٠].

[2] الاستواء فوق العرش.

[3] تفسير العثيمين: جزء عم ص١٥٩

[4] «وَالْأَعْلَى صِفَةٌ لِلرَّبِّ، وَقِيلَ: لِلِاسْمِ». فتح القدير للشوكاني ٥/ ٥١٤

[5] تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن ص٩٢٠

المثال السابع والعشرون: صفحة "٧٣٩" من سورة الفجر الآية رقم "٢٢" في قوله تعالى: {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}

قال جلال الدين: "وجاء ربك، أي: أمره".

قال الشيخ الخميس: تأويل المجيء بأمر الله هذا باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية.

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صفاً بعد صف"[1].

فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف ومن الدلائل على بطلان تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله فلا معنى لمجيء الأمر مع تصريح مجيء الملائكة لأنه يكون ذكراً للملائكة بلا فائدة.

قال الشافعي الفاسي: وكلام الشيخ صحيح، حتى وإن كان الظاهر قد يوافق المذهب بسبب أن الله له الأمر؛ إلا أننا نعلم أن الشيخ تأوَّلَ الصفة فرارًا من قاعدتهم الكلامية الفلسفية في تأويل ما يوهم التشبيه.

ورويَ عن الحسن البصري: جَاءَ أَمْرُهُ وَقَضَاؤُهُ.[2] ولم أقع على سنده!!.

وهذا إن صحَّ فتعارضه أحاديث أخرى صريحة أثبتت مجيء الله يوم القيامة.

---

[1] تفسير ابن جرير "١٢/ ٥٧٦"

[2] ذكره ابن فورك [٢١٥/ أ] والواحدي في "الوسيط" ٤/ ٤٨٤، والسمعاني في "تفسير القرآن" ٦/ ٢٢٢، ولم ينسبه، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٤٢٢، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ٥٥

المثال الثامن والعشرون: صفحة "٧٤٦" من سورة العلق الآية رقم "١٥" في قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} .

قال جلال الدين: "ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه".

قال الشيخ الخميس: العلم من لوازم الرؤية لكن الرؤية غير العلم.

قال ابن جرير في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمداً عن عبادة ربه والصلاة بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه"[١].

قال الشافعي الفاسي: كلام الشيخ صحيح، لكن كلام جلال الدين صحيح أيضًا، فهو شرح لوازم الرؤية مع إثباته لها على ظاهرها، ولكن قد يشتبه ذلك على من لا يعلم منهج المؤلف والخلاف العقدي والتفسير فيظن أن الرؤية هنا بمعنى العلم فيؤول الصفة بدون إثبات ظاهرها وهو يخالف عقيدة المؤلف.

قال الماتريدي: «ألم يعلم بأن الله يرى؛ فينتقم منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم».[٢]

---

[١] تفسير ابن جرير "١٢/٦٤٨"

[٢] تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١٠/ ٥٨٠

المبحث الثاني: قصر العام على بعض أفراده

وذلك أن اللفظ أحياناً قد يصدق على عدة معان ويطلق عليها ويحتملها كلها أو يقصد به مجموعها، فلو قيل بأحدها فقط وطرح الباقي، ولم يلتفت إليه لكان اطراحاً لمعان حقه هي جزء من مدلولات اللفظ.[١]

وإليك الأمثلة لذلك:

المثال الأول: صفحة "٥٠" من سورة البقرة الآية رقم "٢٥٥" في قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ} .

قال جلال الدين: " وهو العلي: فوق خلقه بالقهر ".

وفي سورة النحل الآية رقم "٥٠" في قوله تعالى { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} .

قال جلال الدين: "أي عالياً عليهم بالقهر".

قال الشيخ الخميس: هذا قصر لمعنى "العلي" على أحد مدلولاته وإغفال لباقي ما يدل عليه هذا الاسم من المعاني فإنه سبحانه العلي بذاته العلي على جميع مخلوقاته وهو العلي بعظمة صفاته وهو العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات وخضعت له الكائنات فلابد من إثبات كل هذه المعاني لله.

قال الشافعي الفاسي: وأما اقتصاره على قولٍ واحدٍ لا يُعَدُّ نقدًا، إلا أنه لا يؤمن أصلاً بالقول الأخر الذي هو ظاهر العلو.

وقد يترجَّحُ لأحد المفسرين قولاً لا يجمع باقي الأقوال، خاصةً وأن الأقوال هنا مختلفة جدًا.[٢]

---

[١] أقول: وإن اقتصرَ على أحدها فلا نعتبره خطئًا، فإما أنه رجَّحَ لدليل ما، أو أنه اختار لأي سبب آخر، وقد صرَّحَ الشيخ بأنه أحد الأقوال المتشابهة، فلو اقتصر على هذا المعنى فلا يعني رفضه للباقي.

[٢] فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٠٠

المثال الثاني: سورة النحل الآية رقم "٣٦" في قوله تعالى: {وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} .

قال جلال الدين: "الطاغوت: الأوثان" .

قال الشيخ الخميس: الطاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

قال الشافعي الفاسي: غلبنا الشيخ، إلا أن هذا لا يعد نقدًا لما أسلفنا من توضيح في الصفحة السابقة.

والطاغوت مختلفٌ فيه:

الطاغوت: كل ما يُطْغِي الإنسان.[1]

وقول الشيخ «وهو راضٍ بالعبادة» مختلفٌ فيه، فقيل لا يُشترَط ذلك وقيل شرط.

قال ابن عطية: «والطَّاغُوتَ في اللغة كل ما عبد من دون الله من آدمي راض بذلك».[2]

---

[1] "جامع البيان" للطبري ٩/ ١٣، "المحتسب" لابن جني ١/ ١٣١ – ١٣٢، "معاني القرآن" للنحاس ١/ ٢٧٠، "مشكل إعراب القرآن" لمكي ١/ ١٠٧ – ١٥٨

[2] تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٣٩٢؛ "جامع البيان" للطبري ٣/ ١٩، "النكت والعيون" ١/ ٣٢٧، "البسيط" ١/ ١٥٤ أ، "تفسير أبي المظفر السمعاني" ٢/ ٤٠٢

المثال الثالث: صفحة "٦٧٤" من سورة الأعراف الآية رقم "١٨٠" في قوله تعالى: {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى} . والآية "٢٤" من سورة الحشر في قوله تعالى: {لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى} .

قال جلال الدين: "التسعة والتسعون الوارد بها الحديث".

قال الشيخ الخميس: التسعة والتسعون من أسماء الله الحسنى لأن أسماء الله غير محصورة بعدد لقوله صلى الله عليه وسلم: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[1].

قال الشافعي الفاسي: وهذا لا يندرج في هذا الباب من تقييد المطلق، وإنما هو من الخلاف التفسيري الأصلي، فإن الفقهاء والمفسرون اختلفوا في عدد أسماء الله الحسنى هل هي محصورة في التسعة والتسعين أم لا.

قال القرطبىّ: واختلفوا هل أسماء الله عز وجل محصورة فى التسعة والتسعين أم لا؟

فذهب قوم، منهم على بن حزم، إلى أن أسماءه محصورة فى التسعة والتسعين.

وذهب آخرون، وهم الأكثر، إلى أنه يجوز أن يكون له أسماء زائدة.[2]

---

[1] أخرجه أحمد "١/ ٣٩١" والطبراني في الكبير "١٠/ ٢٠٩-٢١٠" وابن حبان كما في موارد الظمأن ص"٥٨٩" كلهم من طريق عبد الرحمن بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود وأورده الهيثمي في المجمع "١٠/ ١٣٦" قال: "رجاله أحمد وأبي يعلي رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان".

[2] راجع: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ١٧ ت الحلو؛ مجموع الفتاوى ٢٢/ ٤٨٢؛ بدائع الفوائد ١/ ١٦٦

المثال الرابع: صفحة "٧٤٧" من سورة البينة الآية رقم "١" في قوله تعالى: {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} .

قال جلال الدين: " أي عبدة الأصنام".

قال الشيخ الخميس: فيه نظر فالمشركون عباد الصالحين والقبور والجن والأشجار والأحجار فإن غالب المشركين كانوا عبدة للصالحين، وهذا كان مبدأ الشرك في الأرض، الغلو في الصالحين ثم اتخاذ أصنام بأشكالهم ثم عبادتهم من دون الله.

قال الشافعي الفاسي: قول جلال الدين هو أحد الأقوال المعروضة التي خصصها بعض السلف، فهناك من رأى أن أهل الكتاب والمشركين في الأية واحد، فهما وصفان لنفس الفئة؛ وهناك من رأى أنهما فئتان.

والتفسير بأن المشركين هم «عبدة الأوثان» قد أورده الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بنفس اللفظ وبدون عموم[1]، وهو قول السمرقندي[2]، ويجب التنبيه إلى أن الذين كان النبي ﷺ وسطهم إما أهل كتاب وإما مشركي أوثان ومخلوقات أخرى؛ ولذلك فسَّرَ الواحدي « {وَالْمُشْرِكِينَ}. يعني مشركي العرب»[3]، فإن جاز تخصيص المشركين تفسيرًا بمشركي العرب كان كذلك مشركي الأصنام لأنهم الأكثر انتشارًا حينها.

وبالمناسبة تفسير جلال الدين وإن لم يكن مقصودًا به العموم، فإنه بالرغم من ذلك يمكن حمله على العموم من ناحية القياس والمعنى العام للشرك، بل وليس الصنم فقط هو ما كان من حجارة وخشب وغيره[4].

---

[1] «فقال بعضهم: معنى ذلك: لم يكن هؤلاء الكفار من أهل التوراة والإنجيل، والمشركون من عَبدة الأوثان». تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ٢٤/ ٥٣٩

[2] «وَالْمُشْرِكِينَ يعني: عبدة الأوثان». تفسير السمرقندي = بحر العلوم ٣/ ٦٠٣

[3] التفسير البسيط ٢٤/ ٢٠٣

[4] «قال بعض الحكماء: كلّ ما عبد من دون الله، بل كلّ ما يشغل عن الله تعالى يقال له: صَنَمٌ» المفردات في غريب القرآن ص٤٩٣. قَدْ تَكَرَّرَ فِيهِ ذِكْرُ «الصَّنَم والأَصْنَام» وَهُوَ مَا اتُّخِذ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللهِ تَعَالَى. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٥٦

وعمومًا لفظ المشركين عامّ يقع ضمنه كل المشركين، بل وقد يمكننا الجمع بين الأقوال بأن المشركين هم كل من أشرك بالله، فيدخل أهل الكتاب ضمنهم، ولو كنت ناقدًا جلال الدين لقُلتُ هذا الرأي، ولكن لا مجال لنقده؛ وإلا لنقدنا ابن كثير: «وَالْمُشْرِكُونَ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ».[١]

وهل هناك فرق بين الصنم والوثن؟اختلفوا في الفرق بين الصنم والوثن: فمنهم من سَوَّى بينهما، قال ابن عرفة: ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن، فإذا كان له صورة فهو صنم.[٢]

---

[١] تفسير ابن كثير – ت السلامة ٨/ ٤٥٦

[٢] الغريبين في القرآن والحديث ٤/ ١١٠٠

المثال الخامس: صفحة "٧٥٣" من سورة الكافرين الآية رقم "٢" في قوله تعالى: {أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}

قال جلال الدين: "ما تعبدون: من الأصنام".

قال الشيخ الخميس: قوله ما تعبدون أي الأصنام فيه نظر؛ لأنه قصر للعام على بعض أفراده، والصواب المعبودات سواء كان من الصالحين أو القبور أو الأشجار أو الأصنام، يقول: قل لهم: لا أعبد ما تعبدن من دون الله من هذه المعبودات الباطلة التي اتخذتموها من دونه، ولا أصرف لها شيئًا من العبادة، بل إنما أتوجه بعبادتي وأصرفها لله تعالى الذي يستحقها وأبيتم أن تعبدوه.

قال الشافعي الفاسي: قد أفردنا الكلام على ذلك في المسألة السابقة.

المبحث الثالث في الإسرائيليات

يقصد بالإسرائيليات هنا ما ورد من حكايات نقلاً عن أهل الكتاب من بني إسرائيل، ومعلوم لنا جميعـًا أنه فيما يتعلق بالإسرائيليات فهي ثلاثة أنواع:

١ – ما ورد شرعنا بتصديقه، فهذا نصدقه ونحكيه.

٢ – ما ورد شرعنا بتكذيبه، فهذا لا نشتغل به ولا نحكيه إلا على سبيل بيان بطلانه.

٣ – ما لم يرد شرعنا بتصديق له ولا تكذيب، فهذا وإن حكي فإنه لا يصدق ولا يكذب لأنه يحتمل الأمرين.

وإليك أمثلة النوع الثاني[1]:

المثال الأول: صفحة "١٨" من سورة البقرة الآية رقم "١٠٢" في قوله تعالى: {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} .

قال جلال الدين: "من الحسر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه".

قال الشيخ الخميس: حادثة نزع ملك سليمان لا يمكن التصديق بصحتها إذ هي من حكايات بني إسرائيل التي لا تتناسب مع مناصب الأنبياء وحفظ الله لهم.

قال الشافعي الفاسي: لا يتعارض حفظ الله للأنبياء بأن يصيبهم بالبلاء –من ناحية الشياطين– كما حدث مع سيدنا أيوب وسيدنا محمد –السِحر–.

فهي تقع ضمن الثالث.

---

[1] وفي اعتبار ما سيذكره البطلان فيه نظر، فإنه لم يرد عندنا ما يكذبه.

المثال الثاني: صفحة "٢٨٧" من سورة يوسف الآية رقم "٥٢" في قوله تعالى: {ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ} .

قال جلال الدين: " ذلك: أي طلب البراءة "يعلم" العزيز أني لم أخنه في أهله".

قال الشيخ الخميس: ظاهر كلام المؤلف أن يوسف هو القائل ذلك والأولى حمل الآية على أن امرأة العزيز هي التي قالت ذلك فيكون معنى الآية: أي ليعلم زوجي أني لم أركب الفاحشة، وإنما راودت يوسف مراودة فامتنع مني وما أبرئ نفسي فإن نفوس البشر ضعيفة تغلب عليها الشهوات إلا ما رحم ربي وهذا ما رجحه ابن تيميه وابن القيم وابن كثير وقاله الماوردي في تفسيره وهو أليق بسياق الآية[1].

قال الشافعي الفاسي: وهذه المسألة لا تقع -غالبًا- ضمن باب الاسرائيليات لأن الخلاف فيها مشهور ومعروف ولا يعتمد على الاسرائيليات فقط.

وتفسير جلال الدين هو اختياري في تفسير الأية، واختيار الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.[2]

قال الشيخ العدوي المصري: «هل هو استمرار لمقولة المرأة، أي: أنها تحرص على إرضاء يوسف في غيابه؟ هذا ما قال به فريق من المفسرين، أم هو قول يوسف عليه السلام: أي أني لم أخن سيدي بالغيب في امرأته؟ وهذا له وجه كذلك».[3]

---

[1] تفسير القيم لابن القيم ص٣١٦ وتفسير ابن كثير ٢/ ٤٨١

[2] تفسير الطبري جامع البيان – ط دار التربية والتراث ١٦/ ١٤٠

[3] سلسلة التفسير لمصطفى العدوي ٢٧/ ٣ بترقيم الشاملة آليا

المثال الثالث: صفحة "٣٦٢" من سورة الكهف الآية رقم "٨٣" في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ} .

قال جلال الدين: "اسمه الاسكندر".

قال الشيخ الخميس: ليس هناك دليل صحيح حتى يقطع المؤلف أن اسم ذي القرنين الاسكندر فلقد قال تعالى بعد ذلك: {سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً} أي: سأتلو عليكم من أحواله، ما يتذكر فيه، ويكون عبرة وأما ما سوى ذلك من أحواله فلم يتله عليهم[1]، ثم الظاهر أن الاسكندر هو المقدوني وهو كان من المشركين، فلم يكن من المسلمين فضلاً عن أن يكون من أولياء الله.

قال الشافعي الفاسي: وكلام الشيخ صحيح وهو رأيي.

ولكن قيل أن جمهور المفسرين[2] قالوا بأنه الإسكندر وهو بعد التحري قول بعيد مرفوض، منقول عن الكتب اليونانية بالإضافة إلى أن الإسكندر كان وثنيًا.

وأيُّ اعتمادٍ فيه على غير الشرع فهو قول لا يُعتبَر إلا للحكاية فقط.

---

[1] تفسير السعدي ٥/ ٧٣

[2] «والجمهور على أنه إسكندر». غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/ ٦٧٦ تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٥٩٩

«قال وهب بن منبه. وحكى بن عباس أن ذا القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد، وحكى محمد بن إسحاق أنه رجل من إهل مصر اسمه مرزبان بن مردبة اليوناني ولد يونان بن يافث بن نوح. وقال معاذ بن جبل: كان روميًا اسمه الاسكندروس. قال ابن هشام: هو الإسكندر وهو الذي بنى الإسكندرية». تفسير الماوردي = النكت والعيون ٣/ ٣٣٧

المثال الرابع: صفحة "٣٦٣" من سورة الكهف الآية رقم "٩٣" في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ...} .

قال جلال الدين: "بفتح السين وضمها هنا وبعدهما، جبلان بمنقطع بلاد الترك ... ".

قال الشيخ الخميس: قطعه بأن السد من بلاد الترك لا دليل عليه.

قال الشافعي الفاسي: والأمر كالسابق.

المثال الخامس: صفحة "**٥٥٣**" من سورة ص الآية رقم "**٣٤**" في قوله تعالى: **{وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ}** .

قال جلال الدين: "ثم أناب: رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه".

قال الشيخ الخميس: فيه نظر لأن هذا تنقيص لهذا النبي واستيلاء على أزواجه المطهرات، وهذا مما يعلم بطلانه إذ أن أعراض الأنبياء محفوظة من الله تعالى.

قال الشافعي الفاسي: وليس معنى كلام جلال الدين هو ما افترضه الشيخ من الاستيلاء، وانظر المسألة الأولى في هذا الباب.

تنبيه: مما يلتحق بالإسرائيليات قول المؤلف في سورة الأحزاب الآية "٣٧" في تفسير قوله تعالى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ} .

قال جلال الدين: "مظهره من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها".

قال الشيخ الخميس: هذا كلام فيه نظر من وجهين:

الأول: أنه غير ثابت رواية.

والثاني: أنه غير صحيح دراية لأنه مخالف لمنصب النبوة، والصواب ما قاله ابن كثير عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: " أن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوج فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك.

فقال الله تعالى: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه".

قال ابن كثير: وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك"

الحاصل: أن أسطورة عشق النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته إياها وكتمان ذلك كلها باطلة لا أصل لها. **وإنما الصواب:** أن الله تعالى قد أخبر نبيه أنه سيزوجه إياها فكتم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مخافة أن يقول الناس كيف يتزوج محمد زوجة ابنه "المتبنى".

قال الشافعي الفاسي: وهذا رأيي إلا أن الشيخ تعامل مع الأثار كلها تقليدًا لابن كثير أنها لم تصح، وهذا فيه نظر كبير: عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ} [الأحزاب: ٣٧] قَالَ: أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَأَنْعَمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ بِالْعِتْقِ: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} [الأحزاب: ٣٧] قَالَ قَتَادَةُ: جَاءَ زَيْدٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ زَيْنَبَ اشْتَدَّ عَلَيَّ لِسَانُهَا ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَلِّقَهَا ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: {أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ} [الأحزاب: ٣٧] ، وَالنَّبِيُّ يُحِبُّ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَيَخْشَى قَالَةَ النَّاسِ إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا} [الأحزاب: ٣٧] قَالَ قَتَادَةُ: لَمَّا

طَلَّقَهَا زَيْدٌ {زَوَّجْنَاكَهَا} [الأحزاب: ٣٧].[1]

قول قتادة: «وَالنَّبِيُّ يُحِبُّ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَيَخْشَى قَالَةَ النَّاسِ إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا» هذا يشهد لما قاله جلال الدين.

وَاخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَذَهَبَ قَتَادَةُ وَابْنُ زَيْدٍ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، مِنْهُمُ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ- إلى ما ذهب إليه جلال الدين؛ وقال الأخرون بما قاله الشيخ.[2]

---

[1] تفسير عبد الرزاق ٣/ ٤٠

[2] تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٩٠

خاتمة الشيخ الخميس

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أما بعد:

فهذه أمثله على هنات وزلات وقعت في تفسير الجلالين، ولم أقصد الاستيعاب وإنما أردت التنبيه على أمثله، أرجو أن يستفيد منها القارئ، وقد نبهت أن هذه التنبيهات ليس معناها انتقاص الكتاب أو هضمه حقه، وإنما هو واجب شرعي يمليه علي الدين، ولعل هذا يكون فاتحة خير، لعمل تنبيهات على تفاسير أخرى مما هو شائع بين أيدي الناس، وذلك على حسب الوسع واتساع الوقت إن شاء الله تعالى، والله أسأل القبول، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه أبو عبد الرحمن: محمد بن عبد الرحمن الخميس

١/ ٤/ ١٤١٤هـ

خاتمة الشافعي الفاسي

الحمد لله، قد انتهينا من الكتاب في الثاني من ربيع الأخر ١٤٤٥هـ - ١٦ أكتوبر ٢٠٢٣إفرنجي

لم يكن هدفنا في الكتاب نقد أحد، وإنما التعليق فقط، وإيراد الأدلة والتصحيح والتوضيح، فالشيخ الخميس ممن تعلمنا على أيديهم وجلال الدين إمام من أئمة التفسير والفقه الشافعي والأصول.

قد نكون أخطئنا، غفر الله لنا ولكم.

هذا الكتاب وقفٌ على المسلمين كلهم، لا يُباع ولا يُشترى؛ فإن طبعته فلا تأخذ أجر الورق حتى، ويحق لأي أحد نشره ورقيًا أو إلكترونيًا بدون التربح منه إلا أصحاب الإعلانات كالمكتبة الوقفية مثلاً.

ونهيب أن المراجع التي استخدمت في هذا الكتاب سواء التي أوردناها أو لم نوردها وصلت إلى ٥٧٠ كتابًا في التفسير فقط، بخلاف كتب الحديث واللغة والعقيدة التي تعمدنا في بعض الأحيان النقل من الأخيرة كي نظهر مدى تعجبنا من بعض استدراكات الشيخ.

وأهدي هذا الكتاب:

إلى أمي أم محمد -حفظها الله وبارك فيها-

وإلى عمي أبي محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وإلى الشيخ سعيد الكملي -حفظه الله-.